

مختصر ابن كثير

16 - قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم .

17 - ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيما نهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين .

يخبر تعالى أنه لما أنظر إبليس { إلى يوم يبعثون } واستوثق إبليس بذلك أخذ في المعاندة والتمرد فقال : { فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم } أي كما أغويتني قال ابن عباس : كما أضللتني وقال غيره : كما أهلكني لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدني بسببه على { صراطك المستقيم } أي طريق الحق وسبيل النجاة ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي وقال بعض النحاة : الباء هنا قسمية كأنه يقول فبإغوائك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال مجاهد : { صراطك المستقيم } يعني الحق والصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك روى الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال فعصاه وأسلم " قال : " وقعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال تقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة " (أخرجه الإمام أحمد في المسند) .

وقوله : { ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم } الآية قال ابن عباس : { ثم لآتينهم من بين أيديهم } أشككهم في آخرتهم { ومن خلفهم } أرعبهم في ديناهم { وعن أيما نهم } أشبه عليهم أمر دينهم { وعن شمائلهم } أشهي لهم المعاصي وعنه : أما من بين أيديهم فمن قبل ديناهم وأما من خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن أيما نهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيئاتهم . وقال قتادة : أتاها من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدين فزينها لهم ودعاهم إليها وعن أيما نهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها أتاها من بين أيديهم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله (وكذا روي عن إبراهيم النخعي والسدي وابن جريج) .

وقال مجاهد : { من بين أيديهم وعن أيما نهم } من حيث يبصرون { ومن خلفهم وعن شمائلهم } حيث لا يبصرون واختار ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير والشر فالخير يصددهم عنه والشر يحسنه لهم وقال ابن عباس { ولا تجد أكثرهم شاكرين } قال : موحدون وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى : { ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين } ولهذا ورد في الحديث : الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان كما قال الحافظ البزار . عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو : " اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي " (أخرجه الحافظ البزار من حديث ابن عباس مرفوعا) .

وعن عبد الله بن عمر قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي : اللهم إني أسألك العافية في الدين والأخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي " (ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال الحاكم : صحيح الإسناد)